بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذِكْرُ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ المَسِيرَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَذِكْرُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي [شَهْرِ] رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ(١)

قال ابن إسحاق: ثم أَقَامَ رَسُول الله ﷺ، بَعْدَ بَعثِهِ إلىٰ «مُؤْتَةَ» جُمَادَى الآخرة وَرَجَباً.

الحرب بين بني بكر وخزاعة

ثم إنَّ بني بكر بن عبد مَنَاةَ بن كنانة عَدَتْ على خُزَاعَةَ، وَهُم على ماء لهم بأسفل مَكَّةَ يُقال له «الْوَتِيرُ»، وَكَانَ الذي هَاجَ ما بين بني بكرٍ وخزاعة أَنَّ رَجلاً من بني الْحَضْرَمِيِّ، واسمُهُ مالكُ بن عَبَّاد، وَحِلْفُ الْحَضْرَمِيِّ يومئذٍ إلى الأسود بن رَزْنٍ(٢)، خرجَ تاجراً، فلمَّا تَوَسَّطَ أَرْضَ خُزَاعَةَ عَدَوْا عليه، فقتلوه، وأخذوا ماله؛ فَعَدَتْ بنو بكرٍ على رَجُلٍ من خُزَاعَةَ فَقَتَلُوهُ، فَعَدَتْ خُزَاعَةُ قُبَيْلَ الإسلامِ عَلَىٰ بَنِي الأسودِ بن رَزْنٍ الديلي وهم

---

(١) لاَ خلافَ أَن هذه الغزوةَ كانتْ في رَمَضَان، كما في الصَّحيح وغَيْره، قَالَ: ابن شهاب كما عِنْدَ البيهقيّ من طَريق عقيل: لا أدري أَخرجَ في شَعْبَان فاستقبلَ رَمَضَانَ، أو خَرَجَ في رمضانَ بعدَمَا دَخَلَ؟ ورواه البيهقيّ من طريق ابن أَبي حفصةَ عن الزّهري بإسنادٍ صحيح. قال: صَبَّح رسولُ الله ـ ﷺ ـ مكَّةَ لثلاثَ عشرةَ خلتْ من رمضَان.
وروى الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح عنْ أَبي سعيدٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: خرجْنَا مع رسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عام الفتح لِلَيْلَتينِ خَلَتَا من شهر رمَضَان، وهذا يدفعُ التردُّدَ الماضي، ويعيّن يومَ الخروج، وقولُ الزهري: يعيّن يوم الدخول، ويعطي أَنه أَقام في الطريق اثني عشر يوماً.
قال الحافظ: وأَمَّا ما قاله الوَاقِدِيُّ: إنَّه خرجَ لعشر خَلَوْن من رمضَان فليسَ بقويٍّ لمخالفَتِهِ ما هو أَصحّ منه، قلتُ: قد وافَقَ الواقِدِيَّ على ذلك ابنُ إسحاق وغيرُه، ورواه إسحاق بن رَاهَويه بسندٍ صحيح عن ابن عبّاس، وعند مسلم أَنه دخلَ لستّ عشرة، ولأَحمد لثماني عشرة، وفي أُخرى لثنتي عشرة، والجمع بين هاتين بحمل إحداهُمَا على مَا مَضَى والأُخْرَى عَلَى مَا بَقي، والَّذي في المغَازِي: دخَلَ لتسْع عَشْرَةَ مَضَتْ، وهو محمولٌ على الاختلافِ في أَوّل الشَّهر.
ووقع في أُخرى: بالشكّ في تسعِ عشرَة أَو سَبْع عشرة، وروى يعقوبُ بنُ سفيان من طريق الحسن على جماعةٍ من مشايخه: أَنَّ الفَتْحَ كانَ في عِشْرِينَ منْ رمضان؛ فإن ثبتَ حُمِلَ على أَنَّ مراده أَنَّه وقع في العشر الأَوسط قبل أَن يدخل الأخير. ينظر السبل ٥/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) الأسود بن رَزْن: يُرْوَى هنا بكسر الراء وفَتْحِها وإسكان الزَّاي وفَتْحِها. وقيَّدَه الدارَقُطْنيّ بفتح الراء وإسكان الزاي لا غير.

مَنْخَرُ[1] بني كنانة وأشرافهم ـ سَلْمَى وَكُلْثُوم وَذُؤَيْب ـ فَقَتَلُوهُمْ بِعَرَفَةَ عند أَنْصَابِ الحرم[2] [٩٠٥].

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ من بني الديل قَالَ: كَانَ بنو الأسود بن رَزْنٍ يُودَوْنَ في الجاهليَّةِ دِيَتَيْنِ وَنُودَى ديةً ديةً؛ لِفَضْلِهِمْ فينا [٩٠٦].

قال ابن إسحاق: فَبَيْنَا بنو بكر وخُزَاعَةُ عَلىٰ ذلك حَجَزَ بينهم الإسلامُ وَتَشَاغَلَ الناسُ به، فَلَمَّا كَانَ صُلْحُ الحديبية بَيْنَ رَسولُ الله ﷺ، وَبَيْنَ قريش، كان فيما شَرَطُوا لرسولِ الله ﷺ وشَرَطَ لهم ـ كما حدثني الزهريُّ، عن عُرْوةَ بن الزبير، عن الْمِسور بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم وَغَيْرِهِمْ مِنْ علمائنا ـ أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ رسولِ الله ﷺ وَعَهْدِهِ، فَلْيَدْخُلْ فيه، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ قريش وَعَهْدِهم فليدخلْ فيه، فَدَخَلَتْ بنو بكر في عَقْدِ قريش وَعَهْدِهم، وَدَخَلَتْ خزاعةُ في عقدِ رسولِ الله ﷺ وعهده [٩٠٧].

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا كانتِ الْهُدْنَةُ، اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة، وأرادُوا أن يُصِيبُوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أَصَابُوا منهم ببني الأسود بنْ رَزْن؛ فَخَرَجَ نَوْفَلُ بن معاوية الديلي في بني الديل، وهو يَوْمَئِذٍ قَائِدُهُمْ، وليس كُلُّ بني بكر تَابِعَهُ، حتى بَيَّتَ خُزَاعَة وهم على الْوَتِيرِ (٢٢٩/أ) ماءٍ لهم، فَأَصَابُوا منهم رجلاً، وَتَحَاوَزُوا، واقْتَتَلُوا، وَرَفدَتْ بني بكر قريشٌ بالسلاحِ، وَقَاتَلَ معهم من قريشٍ مَنْ قاتل بالليلِ مُسْتَخْفِياً حتى حَازُوا خُزَاعَةَ إلى الحرم، فَلَمَّا انتهوا إليه قالتْ بنو بكر: يا نوفل، إنَّا قَدْ دَخَلْنَا الحَرَمَ إلٰهَكَ إلٰهَكَ، فقال: كلمةً عظيمةً لا إله له اليوم، يا بني بكر، أصيبُوا ثَأْرَكُمْ: فلعمري إنَّكُمْ لَتَسْرِقُونَ في الحرم، أفلا تُصيبون ثَأْرَكُمْ فيه؟! وقد أصابوا منهم ليلةَ بَيَّتُوهم بالْوَتِيرِ رَجُلاً يُقال له مُنَبِّه، وكان منبه رَجُلاً مفئُودًا[3] خَرَجَ هو ورجلٌ من قَوْمِهِ يُقال له تميم بن أسد، فقال له مُنَبِّه: يا تميمُ، انْجُ بِنَفْسِكَ، فَأَمَّا أنا فوالله، إنِّي لَمَيِّتٌ، قَتَلُونِي أو تركوني، لقد

---

[٩٠٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣١٨/٤) عن ابن إسحاق به.

[٩٠٦] إسناده ضعيف، شيخ ابن إسحاق مجهول لا يعرف، ثم هو معضل؛ لأنه لا يمكن أن يدرك شيخ ابن إسحاق هذه القصة، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣١٨/٤) من طريق ابن إسحاق.

[٩٠٧] تقدم تخريجه.

---

(١) وهم منخرُ كِنانة: يعني المُتَقَدِّمين منهم؛ لأنَّ الأنْفَ هو المُقَدَّم من الوجه.

(٢) أنْصَابُ الحَرم: حِجارَةٌ تُجْعَل علاماتٍ بين الحِلِّ والحَرَم.

(٣) المفئودُ: هو الذي أصابَه أَلَم في فُؤادِهِ أي قَلْبه.

انْبَتَّ فؤادِي[1]، فانطَلَقَ تميم، فَأَفْلَتَ، وَأَدْرَكُوا مُنَبِّهاً فَقَتَلُوهُ، فلمَّا دَخَلَتْ خُزَاعَةُ مَكَّةَ لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء، ودار مولى لهم يُقال له: رافع، فقال تميم بن أسد يَعْتَذِرُ مِنْ فَرارِهِ عن مُنَبِّهٍ [من الكامل]:

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي نُفَاثَةَ أَقْبَلُوا ... يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ[2]

صُخْراً وَرَزْناً لاَ عَرِيبَ سِوَاهُمُ ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلْصٍ خَنَّابِ[3]

وَذَكَرْتُ ذَحْلاً عِنْدَنَا مُتَقَادِماً ... فِيمَا مَضَىٰ مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ[4]

وَنَشَيْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ ... وَرَهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ[5]

وَعَرَفْتُ أَنْ مَنْ يَتْقَفُوهُ يَتْرُكُوا ... لَحْماً لِمُجْرِيَةٍ وَشِلْوَ غُرَابِ[6]

قَوْمُتُ رِجْلاً لاَ أَخَافُ عِثَارَهَا ... وَطَرَحْتُ بِالْمَتْنِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي[7]

وَنَجَوْتُ لاَ يَنْجُو نَجَائِيَ أَحْقَبٌ ... عِلْجٌ أَقَبُّ مُشَمِّرُ الْأَقْرَابِ[8]

تَلْحَى وَلَوْ شَهِدَتْ لَكَانَ نَكِيرُهَا ... بَوْلاً يَبُلُّ مَشَافِرَ الْقَبْقَابِ[9]

الْقَوْمُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ مُنَبِّهاً ... عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَاسْأَلِي أَصْحَابِي [٩٠٨]

---

[٩٠٨] ينظر «دلائل النبوة» (٥/ ٧ ـ ٩) و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٣ ـ ٤٤) و«الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٤٠٩) و«البداية والنهاية» (٤/ ٣١٨).

---

(١) لقد انْبَتَّ فَؤَادِي أي: انقطع.

(٢) كلُّ وتيرةٍ: قال الشيخ أبو ذر: من رواه بالثاء المثلثة «وثيرة» فهي الأرض اللَّيِّنةُ الرَّطْبَةُ، ومنه يقال: فِراشٌ وثيرة إذا كان رَطْباً. ومن رواه بالتاء باثنتين فهي الأرضُ الممَتدَّةُ. والحجابُ هنا: ما اطْمَأنَّ منَ الأَرض وخَفِيَ.

(٣) لا عَرِيبُ أي: لاَ أَحَدَ، يُقال: ما بالدار عَرِيبٌ ولا كَتِيعٌ ولا دِبِّيجٌ في أسماءِ غَيْرِها وكُلُّها بِمَعْنى؛ ما بها أَحَدٌ، ويَزْجُونَ، أي: يَسُوقونَ. والمُقَلْص هنا: الفرس المُشَمِّرُ وخِنَّابٌ، قال الخُشَنِي: الخِنَّابُ: الوَاسعُ المَنخِرَيْن في ما قال ابنُ هِشام، ويُرْوى: خَبَّابٌ، ومَعْنَاه مُسْرِعٌ، من الخَبَب وهو السُّرْعَة في السَّيْر.

(٤) الذَّحْلُ: طَلَبُ الثَّأْر، والأَحقابُ: السِّنونَ.

(٥) نَشِيتُ أي: شَمِمْتُ، ورَهِبْتُ: خِفْتُ؛ والمُهَنَّدُ: السَّيفُ، قضَّاب: قاطعٌ.

(٦) المُجْرِيَةُ هنا: اللَّبُوَةُ الَّتي لها أَجْرَاءٌ، والشِّلْوُ: بَقِيَّة الجَسَدِ.

(٧) المَتْنُ: ما ظهر مِنَ الأَرْض وارْتَفَع. والعَراءُ: الخالي الَّذي لا يَخْفَى فيه شيءٌ.

(٨) نَجَوْتُ أي: أَسْرَعْتُ. وأَحْقَبُ، أي: حِمارُ وَحْشٍ أَبْيَضُ المُؤَخَّر وهو مَوْضعُ الحَقِيبة، وعِلْجٌ، أي: غَليظٌ، وأَقَبُّ: ضامِرُ البَطْن. ومُشَمِّرُ الأَقْرَابِ، أي: مُنْقَبِضٌ، ومَن روَاه: مُقَلَّصُ الأَقْرابِ فهو كذلك، والأَقْرَابُ: جَمْعُ قُرْبٍ، وهي الخاصِرَةُ وما يَليها.

(٩) تَلْحَى، أي: تَلومُ، والمَشافِرُ: النَّواحي والجَوانِبُ هنا، والقَبْقابُ: من أَسْماء الفَرْجِ.

قال ابن هشام: وتروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهذلي، وبيته «وذكرت ذحلاً عندنا متقادماً» عن أبي عبيدة، وقولُه: «خَنَّاب» و«علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضاً.

قال ابن إسحاق: وَقَالَ الأَخْزَر بن لُعْط الديليُّ فيما كان بين بني كنانة وخزاعة في تلك الحرب [من الطويل]:

أَلاَهَلْ أَتَى قُصْوَى الأَحَابِيشِ أَنَّنَا ... رَدَدْنَا بَنِي كَعْبٍ بِأَفْوَقَ نَاصِلِ[1]

حَبَسْنَاهُمُ فِي دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ ... وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غَيْرَ طَائِلِ

بِدَارِ الذُّلِيلِ الآخِذِ الضَّيْمَ بَعْدَمَا ... شَفَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمُ بِالْمَنَاصِلِ[2]

حَبَسْنَاهُمُ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ ... نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ بِوَابِلِ[3]

نُذَبِّحُهُمْ ذَبْحَ الثُّيُوسِ كَأَنَّنَا ... أُسُودٌ تَبَارَى فِيهِمُ بِالْقَوَاصِلِ[4]

هُمُو ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِي مَسِيرِهِمْ ... وَكَانُوا لَدَى الأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلِ

كَأَنَّهُمُ بِالْجِزْعِ إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ ... بِفَائُورَ حُفَّانُ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ[5]

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَنَاة بن سلمة بن عمرو بن الأَحَبِّ، وَكَانَ يُقَالُ له: بديلُ بن أُمِّ أَصْرَم فقال [من الطويل]:

تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ ... لَهُمْ سَيِّداً يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَافِلِ[6]

أَمِنْ خِيفَةِ الْقَوْمِ الأُلَى تَزْدَرِيهِمُ ... تُجِيزُ الْوَتِيرَ خَائِفاً غَيْرَ آئِلِ[7]

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا ... لِعَقْلٍ وَلاَ يُحْبَى لَنَا فِي الْمَعَاقِلِ[8]

---

(١) قُصْوَى أي: أبعَدُ، والأَحابيش: من حالَفَ قُرَيْشاً ودخل في عَهْدِها من القبائل. بأَفْوَقَ ناصِلٍ: تقول العربُ: رَدَدْتُهُ بأَفْوقَ ناصِل: إذا رَدَدْتَهُ خَائِباً، والأَفْوَقُ: السَّهمُ الذي انكسر فُوقُهُ وهو طَرَفُهُ الذي يلي الوَتَر، والناصِلُ: الذي زال نَصْلُه أي: حَدِيدهُ الذي يكون فيه.

(٢) الضَّيْمُ: الذُّلُّ، والمناصِل: جَمْعُ مُنْصُلٍ، وهو السَّيف.

(٣) نَفَحْنا، أي: وَسَعْنا، والشِّعْبُ: المُطْمَئِنُّ بين جَبَلَيْن، والوابِلُ: المطر الشديد، وأراد به هنا دَفْعةَ الخَيْل.

(٤) القَواصِلُ: الأَنْيابُ هنا فيما قال ابن هشام.

(٥) الجِزْعُ: ما انعطفَ من الوادي. بِفَائُورَ: ظاهِرُهُ أَنَّه اسْمُ موضع، ومن رواه: قَفَا ثَوْرٍ؛ فَثَوْرٌ: اسمُ جَبلٍ «بمكّة» ومَنَعه هذا الشاعِرُ الصَّرْفَ؛ لأنّه قَصَدَ به قَصْدَ البُقْعَةِ، وقَفَاه: هو وَرَاؤُهُ. وحَفَّانُ النَّعام: صِغَارُها. والجوافِلُ: الذَّاهِبَةُ المُسْرِعَةُ. وتنظر الأبياتُ في: البداية والنهاية (٤/ ٣١٨، ٣١٩).

(٦) يَنْدُوهُم، يريد: يَجْمَعُهُم في النَّدِيِّ؛ وهو المَجْلِسُ، ونافِلٌ: رَجُلٌ.

(٧) الأُلَى؛ هنا بمعنى: الَّذين، وتَزْدَريهم، أي: تَحْتَقِرُهُم؛ والوَتِيرُ: اسمُ ماءٍ. غيرُ آيِلٍ، أي: غيرُ راجع من قولك آل إلى كذا أي: رَجَعَ إليه.

(٨) ونَحْبُو، أي: نُعْطِي؛ والعقل: الدِّيَةُ هنا.

وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالثَّلاَعَةِ دَارَكُمْ ... بِأَسْيَافِنَا يَسْبِقْنَ لَوْمَ الْعَوَاذِلِ[1]
وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعَثْوَدٍ ... إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ مَجَرِّ الْقَنَابِلِ (٢٢٩/ب)[2]
وَيَوْمَ الْغَمِيمِ قَدْ تَكَفَّتَ سَاعِياً ... عُبَيْسٌ فَجَعْنَاهُ بِجَلْدِ حُلاَحِلِ[3]
أَأَنْ أَجْمَرَتْ فِي بَيْتِهَا أُمُّ بَعْضِكُمْ ... بِجُعْمُوسِهَا تَنْزُونَ إِنْ لَمْ تُقَاتِلِ[4]
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمُ ... وَلٰكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بَلاَبِلِ [٩٠٩][5]

قال ابن هشام: قَوْلُهُ: «غير نافل» وقَوْلُهُ: «إلى خيف رضوى» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وَقَالَ حَسَّان بن ثابت في ذلك [من الطويل]:

لَحَا اللَّهُ قَوْماً لَمْ نَدَعْ مِن سَرَاتِهِمْ ... لَهُمْ أَحَداً يَنْدُوهُمُ غَيْرَ نَاقِبِ[6]
أَخُضَيْنَ حِمَارٍ مَاتَ بِالْأَمْسِ نَوْفَلاً ... مَتَى كُنْتَ مِفْلاَحاً عَدُوَّ الْحَقَائِبِ[7]

خروج عمرو بن سالم الخزاعي إلى رسول الله

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ بنو بكر وقريش على خُزَاعة، وَأَصَابُوا منهم ما أَصَابُوا، وَنَقَضُوا ما كَانَ بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ من العهد والميثاق بما اسْتَحَلُّوا من خزاعةَ، وَكَانُوا في عقده وعهده؛ خرج عَمْرُو بن سالم الخزاعي، ثم أحد بني كعب، حتى قَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ، المدينةَ، وَكَانَ ذلك ممَّا هَاجَ فَتْحَ مَكَّةَ، فَوَقَفَ عليه وهو جالسٌ في المَسْجِدِ بين ظَهْرَانِي الناسِ، فقال [من الرجز]:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا[8]
قَدْ كُنْتُمُ وُلْداً وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

---

[٩٠٩] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣١٨ ـ ٣١٩) عن ابن إسحاق.

---

(١) الثَّلاَعُة: اسمُ موضع. يَسْبِقْنَ لَوْمَ العواذِلِ، يريد: قَوْلَهم في المثل: سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ.
(٢) بَيْضٌ هنا: اسم موضع، وعَثْوَدٌ: اسم موضع أيضاً. والخَيْفُ: ما انحدر من الجبل، ورَضْوَى: اسمُ جبلٍ، والقَنَابِلُ: جَمْعُ قُنْبُلَةٍ وهي القِطْعَةُ من الخيل.
(٣) الغَمِيم: اسمُ مَوْضعٍ. وتَكَفَّتَ، أي: حَادَ عن طريقه وعَرَّجَ عنه، وعُبَيْسٌ: اسمُ رَجُلٍ، وجَلْدٌ، أي: قَوِيٌّ، وَحُلاَحِلٌ: سَيِّدٌ.
(٤) أَجْمَرَت، أي: بَخَّرَتْ، والْجُعْمُوسُ: العَذِرَةُ والبَعَرُ أيضاً، وتَنْزُون أي: تَثِبون وتَزْنِفِعُون.
(٥) البَلابِلُ: الاخْتِلاطُ وَوَسَاوِسُ الهُموم. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣١٨، ٣١٩).
(٦) سَراةُ القَوم: أشرافهم وخيارُهم، وناقِبٌ: رَجُلٌ.
(٧) المِفْلاَحُ: من الفَلاَح، وهو بقاءُ الخيرِ، والحقائبُ: جَمْعُ حَقِيبَةٍ، وهو ما يَجْعَلُه الراكب وَرَاءَه إذا رَكِبَ. وينظر ديوانه ص (٣٧٣).
(٨) ناشِدٌ أي: طالِبٌ وَمُذَكِّرٌ، والأَتْلَدُ: القديمُ.

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْراً أَعْتَدَا ... وادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا[1]

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبَّدَا[2]

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا[3]

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا[4]

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... وَقَتَلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّدَا[5]

قال ابن هشام: ويروى أيضاً [من الرجز]:

فَانْصُرْ هَدَاكَ اللَّهُ نَصْراً أَيِّدَا[6]

قال ابن هشام: ويروى أيضاً [من الرجز]:

نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدَا

قال ابن إسحاق: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ» ثم عَرَضَ لرسولِ الله ﷺ عَنَانٌ[7] من السماء فقال: «إِنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ» [٩١٠].

---

[٩١٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧) وفي «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) كتاب الجزية: باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣) كلهم من طريق ابن إسحاق به وقال ابن الأثير: أخرجه الثلاثة ـ أي ابن عبد البر وأبو نعيم وابن منده.
وينظر «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٦٢)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

---

(١) نصراً أَعْتَدَا، أي: حاضِراً من الشَّيء العَتِيد وهو الحاضِرُ. ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٢١).

(٢) تَجَرَّدَا: قال الشيخ أبو ذر: مَنْ رواه بالحاء المهملة فمعناه: غَضِبَ، ومن رواه بالجيم، فمعناه: شَمَّر وتهيَّأ لِحَرْبِهِم. وسيمَ معناه: طُلِبَ منه وكُلِّفَ، والخَسْفُ: الذُّلُّ، وتَرَبَّدَ أي: تَغَيَّرَ إلى السَّوادِ.

(٣) الفَيْلَقُ: العَسْكَرُ الكثيرُ.

(٤) كَدَاءُ: مَوْضِعٌ بـ«مكة». ورَصَدٌ، أي: طالبٌ يَرْقُبُهُ.

(٥) الوَتِيرُ: اسْمُ ماءٍ وقد تقدّم، والهُجَّد: النِّيامُ وقد يكون الهُجَّد أيضاً المُسْتَيْقِظين وهو من الأَضْدَادِ، وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣١٧، ٣١٨).

(٦) نَصراً أَيِّدا، أي: قوياً وهو من التَّأْيِيدِ.

(٧) العَنَانُ: السَّحَابُ.

خروج بديل بن ورقاء الخزاعي إلى رسول الله

ثم خَرَجَ بُدَيْلُ بنُ وَرْقَاءَ في نفر من خُزَاعة حتى قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ المدينَة، فَأَخْبَرُوه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش[1] بني بكر عليهم، ثم انْصَرَفُوا راجعين إلى مكَّةَ، وقد قال رسولُ الله ﷺ للناس: «كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ» وَمَضَى بُدَيْلُ بن ورقاء وأصحابُهُ حتى لَقُوا أبا سفيان بن حَرْب بعُسْفَان قَدْ بَعَثَتْهُ قريشٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ ليَشُدَّ العقدَ وَيَزِيدَ في المدَّةِ، وقد رَهِبُوا الذي صَنَعُوا، فَلَمَّا لقي أبو سفيان بُدَيْل بن ورقاء قال: مِنْ أينَ أقبلت يا بديل؟ وَظَنَّ أنه قد أتى رسولَ الله ﷺ، قال: تَسَيَّرْتُ في خزاعة في هذا الساحِل وفي بَطْنِ هذا الوادي، قال: أوَمَا جِئْتَ محمداً؟ قال: لا، فلما رَاحَ بُدَيل إلى مَكَّةَ قال أبو سفيان: لَئِنْ كَانَ جَاءَ بُدَيْلٌ المدينةَ لقد عَلَفَ بها النَّوَى فأتى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهُ، فَأَخَذَ من بَعَرِهَا فَفَتَّه، فرأىٰ فيه النَّوَىٰ فقال: أَحْلِفُ بالله، لقد جاء بُدَيل محمداً.

أبو سفيان وابنته أم حبيبة زوج رسول الله

ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِمَ عَلىٰ رسولِ الله ﷺ المدينةَ، فَدَخَلَ على ابنتِهِ أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلىٰ فِرَاشِ رسولِ الله ﷺ طَوَتْهُ عنه، فقال: يا بُنَيَّةُ (٢٣٠/ أ) ما أدْرِي أَرَغِبْتِ بي عن هٰذَا الفراش أم رَغِبْتِ به عَنِّي؟ قالت: بَلْ، هو فراشُ رسولِ الله ﷺ وأنت رَجُلٌ مشرك نَجَسٌ، فلم أحِبَّ أن تجْلِسَ على فراش رسولِ الله ﷺ، قال: والله، لَقَدْ أَصَابَكِ يا بنيةُ بعدي شَرٌّ، ثم خَرَجَ حتى أتى رسولَ الله ﷺ، فكلَّمه، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، ثم ذَهَبَ إلى أبي بكرٍ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ له رسولَ الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعِلٍ، ثم أتى عُمَرَ بن الخَطَّاب، فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: أأنا أشْفَعُ لكم إلى رسولِ الله ﷺ؟ فوالله، لو لم أَجِدْ إلاَّ الذَّرَّ لجاهدتُكُمْ به، ثم خَرَجَ فَدَخَلَ على عليِّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه) وعنده فاطمة بِنْتُ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها وعندها حَسَنُ بن علي (عليه رضوان الله) غلامٌ يَدِبُّ بين يَدَيها، فقال: يا عليُّ، إنَّكَ أمَسُّ القومِ بي رَحِماً، وَإِنِّي قد جئتُ في حاجةٍ فلا أرْجِعَنَّ كما جئتُ خائباً، فاشْفَعْ لي إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان!! والله، لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فيه، فالتفتَ إلىٰ فاطمةَ، فقال: يا ابنةَ محمدٍ، هَلْ لك أَنْ تَأْمُرِي بُنَيَّكِ هذا فيجير بين الناسِ فيكون سيدَ العربِ إلى آخر الدهرِ؟ قالت: والله، ما بَلَغَ بُنَيٌّ ذَاكَ أن يُجير بين الناسِ وما يُجير أحدٌ

---

(١) المُظَاهَرَةُ: المُعَاوَنَةُ.

علىٰ رسولِ الله ﷺ، قال: يا أبا الحسن، إنِّي أَرَىٰ الأمورَ قد اشْتَدَّتْ عَلَيّ، فانْصَحْنِي، قال: والله، مَا أَعْلَمُ لك شيئاً يُغْنِي عنك شيئاً، ولكنك سيدُ بني كنانة، فَقُمْ فأجِرْ بين الناس، ثم الْحَقْ بِأَرْضِكَ، قال: أَوَ تَرَىٰ ذلك مغنياً عَنِّي شيئاً؟ قال: لا، والله ما أظنُّه، ولكني لا أَجِدُ لك غَيْرَ ذلك، فقام أبو سفيان إلى المسجد، فقال: يا أيها الناسُ، إنِّي قد أَجَرْتُ بين الناسِ، ثم رَكِبَ بَعِيرَهُ، فانْطَلَقَ، فلما قَدِمَ على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمداً فكلمتُه، فوالله، ما ردَّ علي شيئاً، ثم جئتُ ابن أبي قُحَافة، فلم أجدْ فيه خيراً، ثم جئتُ ابن الخطاب فَوَجَدْتُهُ أدنى العدوِّ (قال ابن هشام: أَعْدَى العدو) قال ابن إسحاق: ثم أتيت عليًّا فوجدته أَلْيَنَ القوم، وقد أشار علي بشيءٍ صنعتُهُ؛ فوالله، ما أدري هل يُغْنِي ذلك شيئاً أَمْ لا، قالوا: وبم أَمَرَكَ؟ قال: أمرني أَنْ أجير بين الناسِ، ففعلتُ قالوا: فَهَلْ أَجَازَ ذلك محمدٌ؟ قال: لا، قالوا: وَيْلَكَ!! والله إنْ زَادَ الرَّجُلُ على أنْ لَعِبَ بك، فما يُغْنِي عنك ما قلتَ؟ قال: لا والله ما وجدتُ غير ذلك [٩١١].

رسول الله يأمر بالجهاز

وَأَمَرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بالجَهَازِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوه، فَدَخَلَ أبو بكر على ابنته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تُحَرِّكُ بَعْضَ جهَازِ رسولِ الله ﷺ، فقال: أيْ بُنَيَّة، أَأمركم رسولُ الله ﷺ أَنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قالت: نعم، فَتَجَهَّزْ، قال: فَأَيْنَ تُرَيْنَهُ يُرِيدُ؟ قالت: والله ما أدْرِي [٩١٢].

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أَعْلَمَ الناسَ أنه سَائِرٌ إلىٰ مَكَّةَ، وأمرهم بالجدِّ والتهيؤ، وقال: «اللَّهُمَّ، خُذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلَادِهَا»[1] فتجَهَّزَ الناسُ، فَقَالَ حسان بن ثابت يُحَرِّضُ الناسَ (٢٣٠/ب) ويذكر مُصَابَ رِجَالِ خُزَاعة [من الطويل]:

---

[٩١١] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧ ـ ٩) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

[٩١٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير عن عائشة به.

وسنده حسن، وصرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه أيضاً الطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٧) حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق به، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).

---

(١) حتَّى نَبْغَتَها في بلادها، وهو من البَغْتَةِ وهي الفَجَاءَةُ، يقال: بَغَتَهُ الأمْرُ وفَجِئَهُ: إذا جاءه ولم يعلَمْ به.

عَنَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالَ بَنِي كَعْبٍ تُحَزُّ رِقَابُهَا
بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا[1]
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنْ نُصْرَتِي ... سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا؟
وَصَفْوَانُ عَوْدٌ حُزَّ مِنْ شَعَرِ اسْتِهِ ... فَهٰذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا[2]
فَلاَ تَأْمَنَنَّا يَا ابْنَ أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا اخْتُلِبَتْ صِرْفاً وَأَعْصَلَ نَابُهَا[3]
وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سُيُوفَنَا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا[4] [٩١٤]

قال ابن هشام: قولُ حسان: «بأيدي رجالٍ لم يسلوا سيوفهم» يعني: قريشاً، و«ابن أم مجالد» يعني: عكرمةَ بن أبي جهل.

كتاب حاطب بن أبي بلتعة وشأنه

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لمَّا أَجْمَعَ رَسولُ الله ﷺ المسيرَ إلىٰ مَكَّةَ كَتَبَ حاطِبُ بن أبي بَلْتَعة كتاباً إلىٰ قريش يُخْبِرُهُمْ بالَّذي أَجْمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ مِنَ الأمرِ في السيرِ إليهم، ثم أعطاه امرأةً زَعَمَ محمد بن جعفر أَنَّهَا من مُزَيْنة، وَزَعَمَ لي غيره أنها سارة مولاةٌ لبعضِ بني عبد المطلب، وَجَعَلَ لها جُعْلاً على أن تبلغَهُ قريشاً، فجعلتْهُ في رَأْسِهَا ثم فَتَلَتْ عليه قُرُونَهَا، ثم خَرَجَتْ به، وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماءِ بما صَنَعَ حَاطِبٌ، فَبَعَثَ عليَّ بن أبي طالب والزبيرَ بْنَ العوام[5] ـ رضي الله عنهما ـ فقال: «أَدْرِكَا امرأة قَدْ كَتَبَ معها حَاطِبُ بْنُ أبي بَلْتَعَة بِكِتَابٍ إلى قُريش؛ يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ»، فَخَرَجَا حتى أدركاها

---

[٩١٣] ينظر الحديث السابق.

[٩١٤] ينظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٤٨) و«البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٣) فقد ذكراه من طريق ابن إسحاق.

---

(١) وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثِيَابُها، أي: لم تُسْتَرْ، يريدُ: أَنهم قُتِلُوا ولم يُدْفَنُوا.

(٢) العَوْدُ: المُسِنُّ من الإبل، والعِصَابُ: ما تُعْصَبُ به أي تُشَدُّ.

(٣) والصِّرفُ: اللَّبَنُ الخالِصُ هنا، وأَعْصَلُ، معناه: أَعْوَجُ، والعَصَلُ: اعوجاجُ الأَسْنانِ.

(٤) ينظر: ديوانه ص (٣٣٠، ٣٣١)، البداية والنهاية (٤/ ٣٢٣).

(٥) اخْتَلَفَت الرِّواياتُ فيمن أرسله رسولُ الله ـ ﷺ ـ ليأتي بكتاب حَاطِب: فَفِي روايةِ أَبي رافع عن عَلِيٍّ قال: بَعَثَنِي رسولُ الله ـ ﷺ ـ أَنا والزُبَيْر والمِقْدَاد. وفي رواية أَبي عَبْدِ الرحمن السَّلمي عنْ عَلِيٍّ قال: بَعَثَنِي رسولُ الله ـ ﷺ ـ وأَبا مرثد الغَنَوِي، والزُبَيْر بن العَوام، قال الحافظ: فيحتملُ أَن يكونَ الثلاثة كَانُوا معه، وذَكَرَ أَحدُ الرُّاويين عنه ما لَمْ يَذْكُر الآخر، ثم قال: والَّذِي يظهر؛ أَنه كان مع كلِّ واحد منهما آخر تَبَعاً لَه. ينظر السبل ٥/ ٢٦٦.

بالخليقةِ، خليقة بني أبي أحمد[1]، فاستنزلاها، فالتمسا في رَحْلِهَا فَلَمْ يَجِدَا شيئاً، فقال لها عليُّ بْنُ أبي طالب: إني أَحْلِفُ بالله ما كَذَبَ رسولُ الله ﷺ ولا كذبنا، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لَنَكْشِفَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ منه قالت: أعْرِضْ، فَأَعْرَضَ، فحلَّتْ قرونَ رَأْسِهَا، فاسْتَخْرَجَتِ الكتابَ منها، فَدَفَعَتْهُ إليه، فأتى به رسولَ الله ﷺ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ حَاطِباً، فقال: «يا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا؟ فقال: يا رسولَ الله، أَمَا والله إنِّي لَمُؤْمِنٌ بالله ورسولِهِ، ما غَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ، ولكني كنتُ امْرَأً ليس لي في القومِ مِنْ أَصْلٍ ولا عشيرةٍ، وكان لي بين أظهرِهم وَلَدٌ وأهلٌ، فَصَانَعْتُهُمْ عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسولَ الله، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَإن الرجلَ قَدْ نَافَقَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ومَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أصْحَابِ بَدْرٍ يوم بدرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لكم» فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] إلى آخر القصة [٩١٥].

فطر رسول الله في رمضان بسبب السفر

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثُمَّ مَضَىٰ رسولُ الله ﷺ لِسَفَرِهِ،

---

[٩١٥] إسناده مرسل، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٨) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق به.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٣) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

وقد وردت قصة حاطب بن أبي بلتعة من طرق كثيرة فأخرج البخاري (٨/ ٣٦) كتاب المغازي: باب فضل من شهد بدراً ـ حديث (٣٩٨٣) ومسلم (٤/ ١٩٤١) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أهل بدر حديث (١٦١/ ٢٤٩٤) وأبو داود (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) كتاب الجهاد: باب في حكم الجاسوس حديث (٢٦٥٠) والترمذي (٥/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة الممتحنة حديث (٣٣٠٥) والنسائي في «التفسير» (٦٠٥) وأحمد (١/ ٧٩) كلهم من طريق عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب. فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولحديث حاطب طرق أخرى ذكرها الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٢٠٩) فينظر.

---

(١) حَتَّى أَدْرَكَاها بالخُلَيْفَةِ خُلَيْفَةِ بني أَحْمَدَ. كذا وقع هنا بضَمّ الخاء المعجمة فيها، ورواه الخُشَنِيُّ بالخَلِيفَةِ بِفَتْحِ الخاءِ المعجمة فيهما. وفي كتاب ابن إسحاق بذي الحُلَيْفَة حُلَيْفَةِ بن أبي أحمد بضم الحاء المهملة فيهما، وبالفاء وهو اسمُ مَوْضِعٍ.

واستخلفَ على المدينةِ أبَا رُهْم كلثومَ بن حُصَيْن بن عتبة بن خلف الغفاري، وَخَرَجَ لعَشْرٍ مَضَيْنَ من شَهْرِ رمضان، فَصَامَ رسولُ الله ﷺ، وَصَامَ النَّاسُ معه، حتى إذا كان بالْكُدَيْدِ بين عُسْفَان وأَمَجَ أفطَر [٩١٦].

نزول رسول الله بمر الظهران

قال ابن إسحاق: ثم مَضَىٰ حتى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَان في عَشَرَة آلاف من المسلمين؛ فَسَبَّعَتْ سُلَيْم[١]، وبعضُهم يَقُولُ: أَلْفت[٢] سليم، وأَلْفَتْ مُزَيْنَةُ، وفي كُلِّ القبائلِ عَدَدٌ وإسلامٌ، وأَوْعَبَ مع رسولِ الله ﷺ المهاجرون والأنصارُ (٢٣١/أ)، فلم يَتَخَلَّف عنه منهم أَحَدٌ، فلمَّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَان وقد عُمِّيَتِ الأخبارُ عن قريش فلم يأتهم خبرٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ولا يَدْرُونَ ما هو فاعلٌ، وَخَرَجَ في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يَتَحَسَّسُونَ الأخبارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَراً أو يَسْمَعُونَ به، وقد كان العباسُ بن عبد المطلب لقي رسولَ الله ﷺ ببعضِ الطريقِ.

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفَة مُهَاجراً بعيالِهِ، وقد كَانَ قَبْلَ ذلك مقيماً بـ«مَكَّةَ» على سِقَايته، ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ فيما ذكر ابن شهاب الزهري.

أبو سفيان بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية وإسلامهما

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسولَ الله ﷺ أيضاً بـ«نِيقِ» الْعُقَاب، فيما بين مكَّةَ والمدينة، فالتمسا الدخولَ عليه، فكلمته أُمُّ سَلَمَةَ فيهما؛ فقالتْ: يا رسولَ الله، ابْنُ عَمِّك وابن عَمَّتِك وصهرُك. قال: «لاَ حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابن عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ، قال: فلما خَرَجَ الخبرُ إليهما بذلك ومع أبي

---

[٩١٦] إسناده حسن وصرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٥ ـ ١٦) وأحمد (١/ ٢٦٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٥) من طريق ابن إسحاق به.
وقد توبع ابن إسحاق على هذا الحديث.
أخرجه البخاري (٤/ ١٨٠): كتاب الصوم: باب إذا صام أياماً من رمضان، ثم سافر، حديث (١٩٤٤)، ومسلم (٢/ ٧٨٤): كتاب الصيام: باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، حديث (٨٨/ ١١١٣)، وبين البخاري أن قوله: وكانوا يأخذون.. إلخ مدرج من كلام الزهري، راوي الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس.

---

(١) سَبَّعَتْ سُلَيْمٌ أي: كانَتْ سَبْعَ مائة.
(٢) أَلْفَتْ أي: كانت ألفاً.

سفيان بُنَيٌّ له فقال: والله، لَيَأْذَنَنَّ لي أو لآخذنَّ بيدي بُنَيَّ هذا ثم لَنَذْهَبَنَّ في الأرض حتى نموتَ عَطَشاً وجُوعاً؛ فلمَّا بَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ رقَّ لهما ثم أَذِنَ لهما فَدَخَلاَ عليه وَأَسْلَمَا، وَأَنْشَدَهُ أبو سفيان بن الحرث قولَهُ في إسْلاَمِهِ واعْتَذَرَ إليه مما كان مَضَى منه، فقال [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً ... لِتَغْلِبَ خَيْلُ الَّلاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَالْمُدْلِجِ[1] الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ ... فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأَهْتَدِي
هَدانِيَ هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي ... مَعَ الَّلهِ مِنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ
أَصُدُّ وَأَنَّأَى[2] جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ ... وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ
هُمْ مَا هُمُ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمْ وَيُفَنَّدِ[3]
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلاَئِطٍ[4] ... مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدِ
فَقُلْ لِثَقِيفٍ: لاَ أُرِيدُ قِتَالَهَا ... وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ: غَيْرِيَ أَوْعِدِي[5]
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً ... وَمَا كَانَ عَنْ جَرَّى لِسَانِي وَلاَ يَدِي[6]
قَبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلاَدٍ بَعِيدَةٍ ... نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسَرْدَدِ[7]

قال ابن هشام: ويروى: «ودَلَّنِي عَلَى الحَقِّ من طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّد».

قال ابن إسحاق: فَزَعَمُوا أَنَّهُ حين أَنْشَدَ رسولَ الله ﷺ قوله: «ونَالَنِي مع الله من طردت كُلَّ مُطَرَّد» ضرب رسول الله ﷺ في صَدْرِهِ، وقال: «أَنْتَ طَرَّدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ» [٩١٧].

---

[٩١٧] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧ ـ ٢٨) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٠) والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٠ ـ ١٥) كلهم من طريق ابن إسحاق، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٠) وقال: ورجاله رجال الصحيح.
وينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

---

(١) المُدْلِجُ: الذي يَسيرُ باللَّيْلِ.
(٢) أَنَّأَى أي: أَبْعَدَ.
(٣) يُفَنَّد أي: يُلام ويُكَذَّبُ.
(٤) لستُ بلائطٍ، أي: بملْصَقٍ، يُقال: لاَطَ حُبُّهُ بقلبي أي: لَصِقَ به.
(٥) أَوْعِدِي، أي: هَدِّدِي.
(٦) الجَرُّ: الجِنَايَةُ.
(٧) نزائع أي: غُرَباء وسَهَامٌ وسُرْدِدٌ: واديان فيما قال ابن هشام: وهما في اليمن. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٢٩).

العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب

فَلَمَّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: وَاصَبَاحَ قريش، والله، لئن دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أن يأتوه فيستأمنوه إنَّه لَهَلاَكُ قريش إلى آخر الدهر، قال: فَجَلَسْتُ على بَغْلَةِ رسولِ الله ﷺ البيضاءِ، فَخَرَجْتُ عليها، قال: حتى جئتُ الأَرَاكَ، فقلتُ: لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْحَطَّابة، أو صاحبَ لبنٍ، أو ذا حاجةٍ يأتي مَكَّةَ فيخبرهم بمكانِ رسولِ الله ﷺ ليخرجُوا إليه فيستأمنوه قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا (٢٣١/ ب) عليهم عَنْوَةً، قال: فوالله، إنِّي لأَسِيرُ عليها وألتمسُ ما خَرَجْتُ له، إذْ سَمِعْتُ كلامَ أبي سفيان وبُدَيْل بن وَرْقَاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيتُ كالليلة نيراناً قَطُّ ولا عَسْكَراً، قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خزاعة حَمَشَتْهَا الحرب[1]، قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أَذَلُّ وأَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هذه نيرانها وعَسْكَرها، قال: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فقلتُ: يا أبا حنظلة، فَعَرَفَ صَوْتِي، فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: مالك فِدَاكَ أبي وأمي؟ قال: قلتُ: وَيْحَكَ يا أبا سفيان هذا رسولُ الله ﷺ في الناسِ، واصَبَاحَ قريش والله!! قال: فما الحيلةُ، فِدَاكَ أبي وأُمِّي؟ قال: قلت: والله، لئن ظفر بك لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ في عجز هذه البغلةِ حتى آتي بكَ رسولَ الله ﷺ فأستأمنه لك.

إسلام أبي سفيان

قال: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صاحباه، قال: فجئتُ به كلمَّا مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رَأوا بَغْلَةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسولِ الله ﷺ على بَغْلَتِهِ، حتى مررتُ بنار عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: من هذا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رأى أبا سفيان على عَجُزِ الدَّابَّةِ قال: أبو سفيان عَدُوُّ الله، الحمدُ لله الذي أَمْكَنَ مِنْكَ بغيرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، ثم خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رسولِ الله ﷺ، وَرَكَضْتُ البغلةَ، فسبقتُه بما تَسْبِقُ الدابةُ البطيئةُ الرجُلَ البطيءَ، قال: فاقْتَحَمْتُ عن البغلةِ، فَدَخَلْتُ على رسولِ الله ﷺ وَدَخَلَ عليه عمر فقال: يا رسولَ الله، هذا أبو سفيان قَدْ أَمكَنَ الله منه بغيرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قال: قلت: يا رسولَ الله، إنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، ثم جَلَسْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخذتُ بِرَأْسِهِ فقلتُ: والله، لا يُنَاجِيه اللَّيْلَةَ دوني رجلٌ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ في شأنِهِ قال: قلتُ: مَهْلاً يا عمر، فوالله أَنْ لو كان مِنْ رجال بني عَدِيِّ بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنَّكَ قد عَرَفْتَ أنه من رجالِ بني عبد مناف، فقال: مَهْلاً يَا عَبَّاسُ، فوالله

---

(١) حَمَشَتْها الحَرْبُ، معناه: أَحْرَقَتْها وَهَيَّجَتْها، ومن قال: حَمَسَتْها بالسين المهملة، فمعناه: اشتدَّتْ عليها وهو مأخوذٌ من الحَمَاسَةِ وهي الشِّدَّةُ والشَّجاعة.

لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كان أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إسلام الخطابِ لو أَسْلَمَ، وما بي إلاَّ أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلاَمَكَ كان أَحَبَّ إلىٰ رسولِ الله ﷺ مِنْ إِسْلامِ الخطابِ لو أسلم فقال رسولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ يا عَبَّاسُ إلى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فأْتِنِي بِهِ» قال: فذهبتُ به إلى رَحْلي، فَبَاتَ عندي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رَسُولُ الله ﷺ قال: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ[1] لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّه لاَ إِلٰه إلاَّ الله» قال: بأبي أنت وأمّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ!!! والله لقد ظَنَنْتُ أن لو كَانَ مع الله إلٰه غيره لقد أَغْنَىٰ عني شيئاً بعد، قال: «وَيْحَكَ يا أبا سفيان!!! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رسولُ الله» قال: بأبي أنتَ وأمّي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!!! أَمَّا هذه والله فإِنَّ في النَّفْسِ منها حتى الآن شَيْئاً، فَقَال له العباس: وَيْحَكَ، أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عنقُكَ، قال: فشهد شهادَةَ الحقّ، فأسلم، قال العباس: قلتُ: يا رسول الله، إن أبا سفيان رَجُلٌ يُحِبُّ هذا الْفَخْرَ، فاجعل له شيئاً، قال: «نَعَمْ مَنْ دَخَلَ (٢٣٢/ أ) دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ».

مرور المسلمين على أبي سفيان

فلما ذَهَبَ لينصرفَ قال رسولُ الله ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ[2] حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ الله فَيَرَاهَا» قال: فخرجتُ حتى حبستُهُ بمضيقِ الوادي حيث أمرني رسولُ الله ﷺ أَنْ أحبسَهُ، قال: ومَرَّتِ القبائلُ على راياتها، كلَّما مرتْ قبيلةٌ قال: يا عباسُ مَنْ هٰذِهِ؟ فأقولُ: سليم، فيقولُ: مالي ولسليم؟ ثم تمرُّ القبيلةُ فيقولُ: يا عباس، مَنْ هؤلاء؟ فأقول، مُزينة، فيقول: مالي ولمزينة؟ حتى نفذتِ القبائلُ، ما تَمُرُّ به قبيلةٌ إلاَّ يَسألُنِي عنها، فإذا أخبرتُهُ بهم قال: مالي ولبني فلان، حتى مَرَّ رسولُ الله ﷺ في كتيبتِهِ الخضراء.

قال ابن هشام: وَإِنَّمَا قِيلَ لها الخضراء؛ لكثرةِ الحديدِ وظهورِهِ فيها، قال الحرث بن حِلِّزَةَ الْيَشْكُرِيُّ [من الخفيف]:

ثُـمَّ حُـجْـراً أَغْـنِـي ابْـنُ أُمِّ قَـطَـامٍ وَلَـهُ فَـارِسِـيَّـةٌ خَـضْـرَاءُ

يعني: الكتيبةَ، وهذا البيتُ في قصيدةٍ له، وقال حسان بن ثابت الأنصاري [من الكامل]:

---

(١) ألم يَأْنِ، معناه: أَلَمْ يَحِنْ، يقال: آنَ الشيءُ يَئِينُ وأَنَى يأْني وأني يأنى، كُلُّه بمعنى واحد.

(٢) الخَطْمُ: أنفُ الجَبَلِ، وهو شيءٌ يخرُجُ منه يَضِيقُ معه الطريقُ. ووقع فيه البخاري في رواية أخرى لبعض الرواة وهي عند خَطْم الخَيْلِ، وهو موضعٌ ضيّقٌ تَتَزاحَمُ فيه الخيلُ حتّى يَخْطِمَ بعضُها بعضاً.

لَـمَّـا رَأَى بَـدْراً تَـسِـيـلُ جِـلاَهُـهُ بِـكَـتِـيـبَـةٍ خَـضْـرَاءَ مِـنْ بَـلْـخَـزْرَجِ[1]

وهذا البيتُ في أبياتٍ له قد كتبناها في أشعارِ يَوْمِ «بدر».

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرونَ والأنصارُ ـ رضي الله عنهم ـ لا يُرَى منهم إلاَّ الْحَدَقُ من الحديد، فَقَالَ: سبحان الله يا عباس مَنْ هؤلاء؟!! قال: قلت: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحَدٍ بهؤلاءِ قِبَلٌ وَلاَ طَاقَةٌ، والله يا أبا الفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنَّها النُّبُوَّةُ، قال: فنعم إذَنْ، قال: قلت: النَّجَاءَ إلى قَوْمِكَ[2]، حتى إذا جَاءَهُمْ صَرَخَ بأعلى صَوْتِهِ: يا معشرَ قريش، هذا محمدٌ قد جَاءَكُمْ فيما لا قِبَلَ لكم به، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أبي سفيان فهو آمن، فَقَامَتْ إليه هِنْدُ بِنْتُ عتبة فَأَخَذَتْ بشارِبِهِ فقالت: اقْتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الأَحْمَسَ[3] قُبُحَ مِنْ طَلِيعَةِ[4] قَوْمٍ!! قال: وَيْلَكُم، لا تَغُرَّنَّكُمْ هذه مِنْ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّهُ قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أبي سفيان فهو آمنٌ، قَالُوا: قَاتَلَكَ الله، وَمَا تُغْنِي عَنَّا دارك؟ قال: وَمَنْ أَغْلَقَ عليه بَابَهُ فهو آمنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فهو آمن، فَتَفَرَّقَ الناسُ إلى دورهم وإلى المسجدِ [٩١٨].

انتهاء رسول الله إلى ذي طوى

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أَنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا انْتَهى إلى ذِي طَوًى وَقَفَ على راحلتِهِ مُعْتَجِراً بشُقَّةِ بُرْدٍ حَبِرَةٍ[5] حَمْرَاء، وَإِنَّ رسولَ الله ﷺ لَيَضَعُ رَأْسَهُ

---

[٩١٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٢ ـ ٣٥) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثنا الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس به.

والحسين بن عبد الله ضعيف وقد تقدمت ترجمته.

وقال البيهقي: هذا لفظ حديث حسين بن عبد الله وأما أيوب فلم يجاوز به عكرمة ولم يسق شيخنا الحديث بتمامه.

وينظر «البداية والنهاية». (٤/ ٣٢٩) وأخرجه أبو داود (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣) كتاب الخراج والفيء والإمارة: باب ما جاء في خبر مكة حديث (٣٠٢٢).

---

(١) جاء هذا البيت برواية أخرى هكذا: ـ

لـمـا رأى بـدرًا تـسـيـل جـلاهـهـا بـكـتـائـب بـالأوس أوم الـخـزرج

ينظر: ديوانه ص (٢٩٩).

(٢) النَّجاءُ: السرعةُ، يُقال: مَرَّ ينجو نجاءً: إذا أَسْرَعَ.

(٣) الحَمِيتُ: زِقُّ السَّمْنِ، والدَّسِمُ: الكثيرُ الوَدَكِ، والأَحْمَس هنا: الشديدُ اللَّحْمِ، وَشَبَّهَتْهُ بِنِحْيِ السَّمْنِ في لونه وَسِمَنِهِ.

(٤) الطَّلِيعَةُ: الذي يَحْرُس القومَ.

(٥) الاعْتِجَارُ: التَّعَمُّمُ بغير ذُؤابةٍ، والشُّقَّةُ: النِّصفُ، والحِبَرَةُ: ضَرْبٌ من ثيابِ اليمن.

تَوَاضعاً لله حِينَ رَأىٰ ما أَكْرَمَهُ الله به مِنَ الفتحِ، حَتَّى إن عُثْنونه ليكاد يَمَسُّ واسطة الرَّحْلِ [٩١٩].

شأن أبي قحافة والد أبي بكر الصديق

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عَنْ جَدَّتِهِ أسماء ابنة أبي بكر، قالت: لَمَّا وَقَفَ رسولُ الله ﷺ بـ«ذي طوًى» قال أبو قحافة لابنة لَهُ من أصغر وَلَدِهِ: أيْ بُنَيَّة، اظْهَرِي[1] بي عَلىٰ أبي قُبَيْسٍ[2]، قالت: وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ، قالت: فأشْرَفَتْ به عليه، فقال: أي بُنَيَّة، مَاذَا تَرَيْنَ؟ قالت: أَرىٰ سَوَاداً مُجْتَمِعاً، قال: تِلْكَ الخيلُ، قالت: وَأَرَىٰ رَجُلاً يَسْعَى بين يَدَيْ ذلك السوادِ مقبلاً ومدبراً، قال: أيْ بُنَيَّة ذَلِك الوازع[3]، يعني: الذي يَأْمُرُ الخيلَ ويتقدَّم إليها، ثم قالت: قد والله انْتَشَرَ السواد، قالت: فقال: قَدْ والله إذن دَفَعَتِ الخيلُ فَأَسْرِعِي بي إلىٰ بيتي، فانحطَّتْ به، وتَلَقَّاه الخيلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى بَيْتِهِ، قالت: وفي عُنُقِ الجاريةِ طَوْق من وَرِقٍ[4] فتلقاها رَجُلٌ فيقطعُهُ مِنْ عُنُقِهَا، قالت: فلما (٢٣٢/ب) دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ وَدَخَلَ المسجدَ أتى أبو بكر بأبيه يقودُهُ، فلَمَّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «هَلاَّ تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُون أَنَا آتِيهِ فِيهِ» قال أبو بكر: يا رسولَ الله، هو أحقُّ أَنْ يَمْشِي إليك مِنْ أَنْ تمشي إليه أنت، قال: قالت: فأجْلَسه بين يديه، ثم مَسَحَ صَدْرَهُ، ثم قال له: «أَسْلِمْ» فَأَسْلَمَ، قالت: فَدَخَلَ به أبو بكر وكأَنَّ رأسه ثَغَامَةَ[5] فقال رسولُ الله ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ» ثم قام أبو بكر، فَأَخَذَ بيدِ أخته وقال: أَنْشُدُ الله والإسلام طَوْقَ أُخْتِي، فلم يجبه أَحَدٌ، قالت: فقال: أيْ أُخَيَّة، احْتَسِبِي طَوقَكِ، فوالله إنَّ الأمانةَ في الناسِ اليومَ لَقَلِيلٌ [٩٢٠].

---

[٩١٩] إسناده مرسل وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٦٨) من طريق ابن إسحاق. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق ولهذا المرسل شاهد موصول من حديث أنس أخرجه الحاكم (٣/ ٤٧) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٦٨) من حديث أنس.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[٩٢٠] إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦٠/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) وابن حبان (١٧٠٠ ـ موارد) والطبراني في «الكبير» =

---

(١) اظْهَرِي بي، يُرِيدُ: اصْعَدِي بي وارْتَفِعِي.
(٢) أبو قُبَيْس: جَبَلٌ بِمَكَّةَ.
(٣) الوازِعُ: الذي يَكُفُّ الجَيْشَ أَنْ يتقدَّم بعضُه على بعضٍ، يقال: وَزَعْتُهُ عن كذا أي: كَفَفْتُهُ.
(٤) والطَّوْقُ هنا: القِلاَدَةُ، والوَرِقُ: الفِضَّةُ.
(٥) الثَّغامةُ: شجرةٌ وجمعها ثَغَامٌ إِذَا يَبِسَتْ ابْيَضَّتْ أَغْصَانُهَا فَيُشَبَّهُ بها الشيبُ، ومنه قول الشاعر [من الكامل]:

أَعَـلاَقَـةٌ أُمُّ الـوُلِـيْـدِ بَـعْـدَمَـا ... أَفْـنَـانُ رَأْسِكِ كَـالـثَّـغَـامِ الـمُـخْـلِسِ

ترتيب الجيش في دخول مكة

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثني عبد الله بن أبي نجيح، أَنَّ رسولَ الله ﷺ حين فَرَّقَ جيشه من «ذي طَوًى» أَمَرَ الزبيرَ بن العوام أَنْ يَدْخُلَ في بَعْضِ النَّاسِ من كُدًى، وكان الزبيرُ على الْمُجَنَّبَةِ الْيُسْرَى، وَأَمَرَ سَعْدَ بنَ عُبَادة أن يَدْخُلَ في بَعْضِ الناسِ من كَدَاء [٩٢١].

قال ابن إسحاق: فزعم بعضُ أهلِ العلم أنّ سَعْداً ـ حين وَجَّهَ داخلاً ـ قال: اليوم يَوْمُ الْمَلْحَمَةَ، اليوم تُسْتَحَلُّ الحرمة، فَسَمِعَها رَجُلٌ مِنَ المهاجرين «قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب» فقال: يا رسولَ الله، اسْمَعْ ما قال سعد بن عبادة، مَا نَأْمَنُ أَنْ تكونَ له في قريش صَوْلَة، فقال رسولُ الله ﷺ لعليِّ بن أبي طالب: «أدْرِكْهُ، فَخُذِ الرَّايَةَ مِنْهُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بها» [٩٢٢].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني عبد الله بن أبي نجيح في حَدِيثِهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، أَمَرَ خالد بْنَ الوليد فَدَخَلَ من اللِّيط أَسْفَلَ مَكَّةَ في بَعْضِ الناسِ، وَكَانَ خالدُ على الْمُجَنَّبَةِ اليمنى وفيها أَسْلَمُ وَسُلَيْم وغِفَار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَة وقبائلُ مِنْ قَبَائِلِ العربِ، وَأَقْبَلَ أبو عبيدة بن الجَرَّاحِ بالصَّفِّ مِنَ المسلمين يَنْصَبُّ لمكَّةَ بين يدي رسولِ الله ﷺ وَدَخَلَ رسولُ الله ﷺ من أَذَاخِر، حتى نَزَلَ بأعلَى مَكَّةَ، وَضُرِبَتْ [له] هنالك قُبَّتُهُ [٩٢٣].

= (٢٤/ ٨٨ ـ ٨٩) رقم (٢٣٦) والحاكم (٣/ ٤٦ ـ ٤٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٩٥ ـ ٩٦) وفي «السنن الكبرى» (٩/ ١٢١) كلهم من طريق محمد بن إسحاق به، وصححه ابن حبان.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قلت: محمد بن مسلم لم يحتج به مسلم إنما روى له في المتابعات والشواهد.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٦) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات. وللحديث شاهد من حديث أنس.

أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٤) وأبو يعلى (٥/ ٢١٦ ـ ٢١٧) رقم (٢٨٣١) وابن حبان (١٤٧٦ ـ موارد).

[٩٢١] إسناده مرسل. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٦) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٧) من طريق ابن إسحاق.

[٩٢٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٧) من طريق ابن إسحاق. وقال: وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مر به وقال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ـ يعني الكعبة ـ فقال النبي ﷺ: بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة وأمر بالراية ـ راية الأنصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له، ويقال: إنها دفعت الى إبنه قيس بن سعد، وقال موسى بن عقبة عن الزهري: دفعها إلى الزبير بن العوام أ.هـ. وينظر: «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٥٨).

[٩٢٣] إسناده مرسل، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٨) من طريق ابن إسحاق.

شأن أهل الخندمة

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر أَنَّ صَفْوَان بن أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةَ بن أبي جهل وَسُهَيْل بن عمرو كانوا قد جَمَعُوا نَاسًا بالْخَنْدَمَةِ ليقاتِلُوا، وَقَدْ كَانَ حِمَاسُ بن قَيْسِ بن خالد أخو بني بكر يُعِدُّ سِلاَحاً قَبْلَ دُخُولِ رسولِ الله ﷺ ويُصْلِحُ منه، فقالتْ له امرأتُهُ: لماذ تُعِدُّ ما أرىٰ؟ قال: لمحمدٍ وأصحابه، قالت: والله، ما أرى أنه يقومُ لمحمدٍ وأصحابه شيءٌ، قال: والله، إِنِّي لأرجو أَنْ أُخْدِمَكِ بَعْضَهُمْ، ثم قال [من الرجز]:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عِلَّهْ هٰذَا سِلاَحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهْ[1].

* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ[2] *

ثم شَهِدَ الْخَنْدَمَةَ مَعَ صفوان وسهيل وعكرمة، فَلَمَّا لَقِيَهُمُ المسلمونَ من أصحابِ خالد بن الوليد نَاوَشُوهم شَيْئاً مِنْ قِتَالٍ فَقُتِلَ كُرْزُ بن جابر أحدُ بني محارب بن فهر، وَخُنَيْسُ بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَمَ حليف بني منقذ، وَكَانَا في خَيْلِ خالد بن الوليد، فَشَذَّا عنه فَسَلَكَا طريقاً غَيْرَ طَرِيقِهِ فقتلا جميعاً: قُتِلَ خُنَيْس بن خالد قَبْلَ كُرز بن جابر، فَجَعَلَهُ كرز بن جابر بين رجليه، ثم قَاتَلَ عنه حتى قُتل وهو يرتجز، ويقول [من الرجز]:

قَدْ عَلِمَتْ صَفْوَاءُ مِنْ بَنِي فَهِرْ نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصَّدِرْ

لَأَضْرِبَنَّ الْيَوْمَ عَنْ أَبِي صَخِرْ [٩٢٤]

قال ابن هشام: وَكَانَ خُنَيْسٌ يُكَنَّى أَبَا صَخْر.

قال ابن هشام: خنيس بن خالد من خزاعة.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر (٢٣٣/ أ) قالا: وأُصِيبَ من جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بن الْمَيْلاَء مِنْ خَيْلِ خالد بن الوليد، وَأُصِيبَ مِنَ المشركين ناسٌ قريبٌ من اثني عَشَرَ رَجُلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انْهَزَمُوا، فخرج حِمَاسُ مُنْهَزِماً حتى دَخَلَ بَيْتَهُ، ثم قال لامرأته: أَغْلِقِي عَلَيَّ بابي، قالت: فأين ما كُنْتَ تَقُولُ؟ فقال [من الرجز]:

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الْخَنْدَمَهْ إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ

---

[٩٢٤] إسناده مرسل، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٩) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) الألَّة: الحربة لها سنان طويل.

(٢) ذو غِرَارَيْنَ، يعني: سيفاً، والغِرَارُ: حدُّ السَّيف. وينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٢٨)، البداية والنهاية (٤/ ٣٣٩).

وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُؤْتَمَهْ ... وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ[1]
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ ... ضَرْباً فَلاَ يُسْمَعُ إِلاَّ غَمْغَمَهْ[2]
لَهُمْ نَهِيتٌ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ ... لَمْ تَنْطِقِي فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ[3]

قال ابن هشام: أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ العلمِ بالشعرِ قولَه: «كالمؤتمه»، وتروى للرعَّاشِ[4] الهذلي.

شعار أصحاب رسول الله

وكان شِعَارُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يَوْمَ فتح مكة وَحُنين والطائف: شعار المهاجرين «يا بني عبد الرحمن» وشعار الخزرج «يا بني عبد الله» وشعار الأوس «يا بني عبيد الله» [٩٢٥].

أمر رسول الله بقتل نفر من الكفار وإن تعلقوا بأستار الكعبة

قال ابن إسحاق: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ عَهِدَ إلى أُمَرَائِهِ مِنَ المسلمين ـ حين أَمَرَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ ـ أَنْ لا يقاتلوا إلاَّ مَنْ قاتلهم، إلاَّ أنه قد عَهِدَ في نَفَرٍ سَمَّاهم، أَمَرَ بقتلِهم وَإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أستارِ الكعبةِ: منهم عبد الله بن سَعْد أخو بني عامر بن لؤي، وإنما أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِهِ؛ لأنه قد كان أَسْلَمَ، وكان يَكْتُبُ لرسولِ الله ﷺ الْوَحْيَ، فارتَدَّ مُشركاً راجعاً إلى قريش؛ فَفَرَّ إلى عثمانَ بن عفان ـ وَكَانَ أَخَاه للرضاعة ـ فَغَيَّبَهُ حتى أتى به رسولَ الله ﷺ بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّ الناسُ وأهلُ مَكَّةَ، فاستأمن له، فَزَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ صَمَتَ طويلاً ثم قال: «نَعَمْ» فَلَمَّا انْصَرَفَ عنه عثمان، قَالَ رسولُ الله ﷺ لمن حَوْلَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: «لَقَدْ صَمَتُّ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُم فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ» فقال رَجُلٌ من الأنصارِ: فَهَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيَّ يا رسول الله، قال: «إِنَّ النَّبِيَّ لاَ يَقْتُلُ بالإِشَارَةِ».

قال ابن هشام: ثم أَسْلَمَ بعدُ فَوَلاَّه عمر بن الخطاب بَعْضَ أعمالِهِ، ثم وَلاَّه عثمان بن عفان بعد عمر [٩٢٦].

---

[٩٢٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
[٩٢٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٤٠) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) المُؤتَمَةُ بفتح التاء: هي التي قُتِلَ زَوْجُهَا فبقي لها أيتام، ومَنْ قاله بكَسْرِ التَّاءِ فيعني التي لها أَيْتامٌ، يقال: منه، أَيْتَمَتْ، فهي مُوتِمٌ. وحَذَفَ همزة أبي يزيد تخفيفاً في ضرورة الشِعْر.
(٢) الجُمْجُمَةُ: الرأسُ، والغَمْغَمَةُ: أصواتُ الأبطال في الحَرْب.
(٣) النَّهِيتُ: نوعٌ من صِياح الأَسَد، والهَمْهَمَة: صوتٌ في الصَّدْر. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٣٩، ٣٤٠).
(٤) الرَّعَّاشُ: يُرَوى هنا بالشينِ والسين وصَوابُهُ بالشين المعجمة لا غير.

عبد الله بن خطل

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خَطَل، رَجُلٌ من بني تيم بن غالب، وإنما أَمَرَ بِقَتْلِهِ أَنَّهُ كَانَ مسلماً فَبَعَثَهُ رسولُ الله ﷺ مُصَدِّقاً، وَبَعَثَ معه رجلاً من الأنصارِ، وكان معه مولًى له يَخْدُمُهُ، وَكَانَ مسلماً، فَنَزَلَ منزلاً، وَأَمَرَ المولىٰ أَنْ يذبح له تَيْساً فيصنع له طعاماً، فَنَامَ، فاستيقظَ ولم يَصْنَعْ له شيئاً، فَعَدَا عليه فَقَتَلَهُ، ثم ارتدَّ مشركاً، وكانت له قَيْنَتَان فَرْتَنَى وصاحبتها، وَكَانَتَا تُغَنِّيَان بهجاءِ رسولِ الله ﷺ فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ.

الحويرث بن نقيذ

والحويرث بن نُقَيْذ بن وَهْب بن عبد بن قُصَيّ، وَكَانَ ممَّن يؤذيه بمكَّةَ [٩٢٧].

قَالَ ابن هشام: وَكَانَ العباسُ بن عبد المطلب حَمَلَ فَاطِمَةَ وأمَّ كُلثوم ابنتي رسول الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُ بهما المدينةَ، فَنَخَسَ بهما الحويرث بن نُقَيْذ فرمىٰ بِهِمَا إلىٰ الأرضِ.

مقيس بن صبابة

قال ابن إسحاق: وَمِقْيَسُ بن صُبَابَة، وَإِنَّما أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِهِ؛ لِقتلِ الأنصاري الذي كَانَ قَتَلَ أخاه خطأً، ورجوعه إلىٰ قُرَيْشٍ مُشْرِكاً.

أمر سارة وعكرمة بن أبي جهل

وسارة: مولاة لِبَعْضِ بني عبد المطلب، وعكرمة بن أبي جهل، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكَّةَ، فأما عكرمةُ، فَهَرَبَ إلى اليمنِ، وَأَسْلَمَتْ (٢٣٣/ب) امرأتُهُ أمُّ حكيم بنت الحرث بن هشام، فاستأمنتْ له من رسولِ الله ﷺ، فَأَمَّنَهُ، فَخَرَجَتْ في طَلَبِهِ إلى اليمنِ حتى أَتَتْ به رسولَ الله ﷺ فَأَسْلَمَ.

وأما عبد الله بن خَطَل، فقتله سعيدُ بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي اشْتَرَكَا في دَمِهِ.

وأما مِقْيَسُ بن صُبَابَة فَقَتَلَهُ نُمَيْلَة بن عبد الله، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فقالت أختُ مِقْيَسٍ في قَتْلِهِ [من الطَّويل]:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ ... وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمِقْيَسِ

---

[٩٢٧] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) عن ابن إسحاق به.